

الباب الثاني



حقائق وبراہین

ومضات عن حقيقة الكون والإنسان في القرآن الكريم والسنة النبوية



إن هذا **الكون** الفسيح الباهر، بسمائه وأرضه، وشمسه ونجومه، وليله ونهاره، وكائناته الحية المتعددة، ما هو إلا مخلوق من مخلوقات الله العظيمة، التي سخرها للإنسان من أجل استعمار الأرض والاستخلاف فيها.

والتأمل في أكثر سور القرآن الكريم، يجد تكراراً يلفت الانتباه ويحرك المشاعر عن آفاق هذا الكون العظيم .. فيفتح الأبصار والبصائر، ويهدي إلى الطريق المستقيم والنهج الحكيم، وهو عبادة الله - سبحانه وتعالى - قال تعالى في سورة الناز:

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴿٥﴾

وقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ

وأرضنا التي نعيش عليها، ونتهادى على ضفاف سواحلها وأنهارها، وفوق روابيها النضرة وصحاريها الواسعة، ما هي إلا جسم ضئيل وممتناه في الصغر، وسط هذا الكون البديع الذي أبدعه الله -تعالى-، فهذه الأرض؛ كوكب من **كواكب المجموعة الشمسية**، تشبه الكرة إلى حد كبير؛ إلا أنها ليست تامة الاستدارة، تدور حول محورها مرة كل أربع وعشرين ساعة، محدثة تعاقب الليل والنهار، وتدور أيضاً حول الشمس خلال سنة كاملة، منشئة **الفصول الأربعة**، وقد فصل الحق -تبارك وتعالى- حقيقة هذا الكون العظيم في مواضع شتى من كتابه الحكيم، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ

الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١٠

وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا مِّنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي

أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ١١ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ

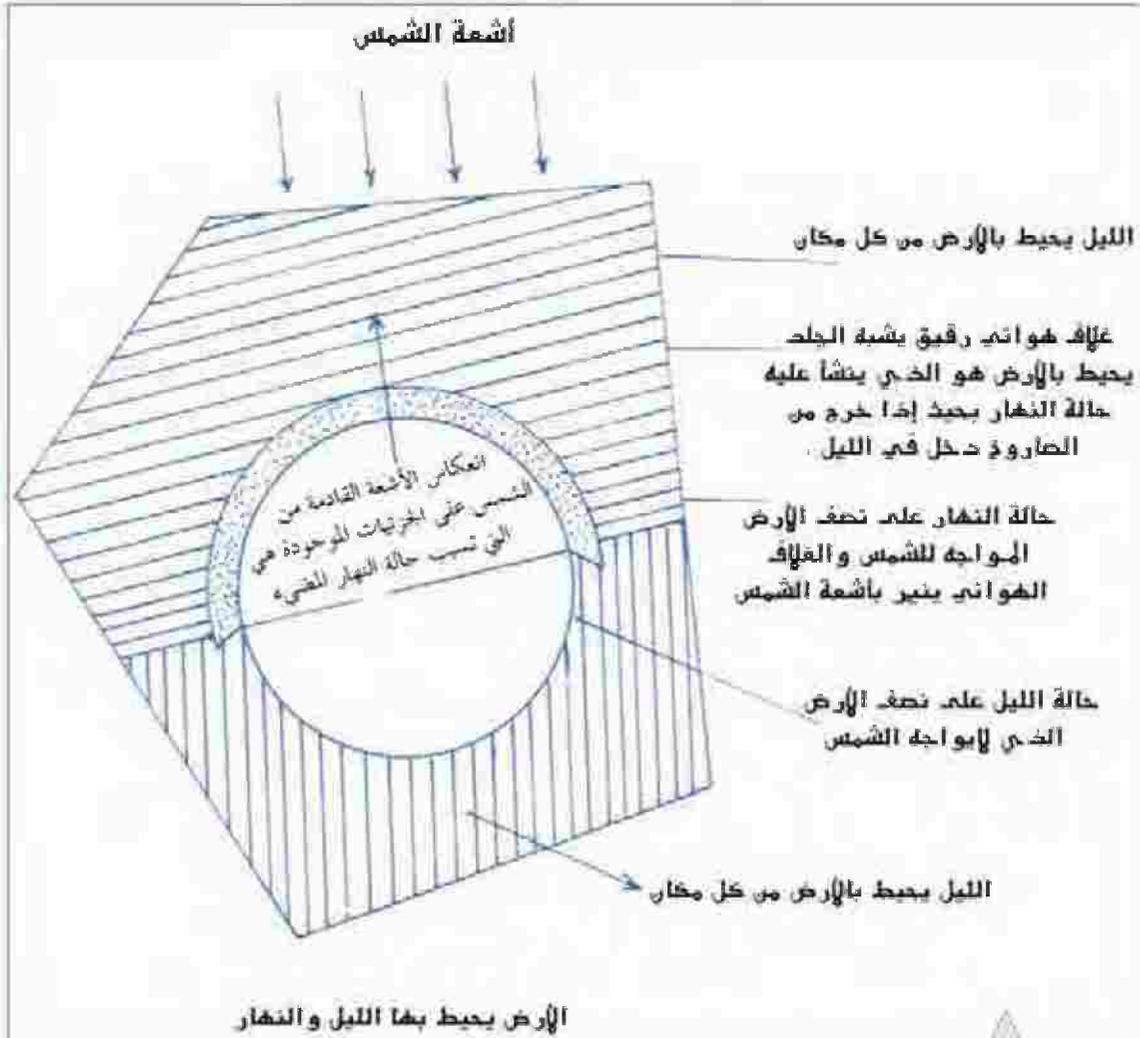
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١٢

فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا

وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ ١٣ ﴿سُبْحَانَكَ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال الله عز وجل: أما أنت يا سماء فأطلعي شمسيك وقمرك ونجومك، وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك. وقال لهما: افعلما ما أمركما طوعاً وإلا أجاتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرهاً فأجابتا بالطوع، ﴿... قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ صلت ١١ ولم يقل طائعتين؛ لأنه ذهب به إلى السماوات والأرض ومن فيهن، مجازاً: أتينا بما فينا طائعتين، فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل. تفسير البهوتي، ج ٧، المكتبة الإسلامية على الشبكة الإلكترونية.



ظاهرة انسلاخ النهار من الليل

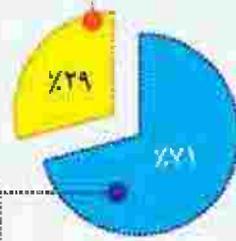
ذكر الشيخ: عبد المجيد الزنداني، في كتابه القيم (توحيد الخالق): أن العلم الحديث كشف أن الليل يحيط بالأرض من كل مكان، وأن الجزء الذي فيه حالة النهار هو الهواء الذي يحيط بالأرض، يمثل قشرة رقيقة تشبه الجلد، إذا دارت الأرض سلخت حالة النهار الرقيقة التي كانت متكونة بسبب انعكاسات الأشعة القادمة من الشمس على الجزئيات الموجودة في الهواء، مما يسبب النهار، فيحدث بهذا الدوران **سلخ النهار من الليل**، قال تعالى: ﴿وَأَيُّ لَيْلٍ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ من ٣٧.

وجها الكرة الأرضية (اليابس والماء)

أولاً.. اليابس.

هو عبارة عن الأجزاء المرتفعة من سطح الأرض التي لا تغمرها المياه. وتضم مساحات أرضية كبيرة تعرف بالقارات، ويمثل اليابس ٢٩٪ من مساحة الأرض، وعدد القارات سبعة، هي:

١. آسيا ٤٤,٥ مليون كم^٢.
٢. إفريقيا ٣٠,٣ مليون كم^٢.
٣. أمريكا الشمالية ٢٤,٢ مليون كم^٢.
٤. أمريكا الجنوبية ١٧,٨ مليون كم^٢.
٥. القارة القطبية الجنوبية (انتاركتيكا) ١٢,٥ مليون كم^٢.
٦. أوروبا ١٠,٥ مليون كم^٢.
٧. أستراليا ٧,٧ مليون كم^٢.



قال تعالى: **أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا**

أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا نَارًا تَقَافُفُنِقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا

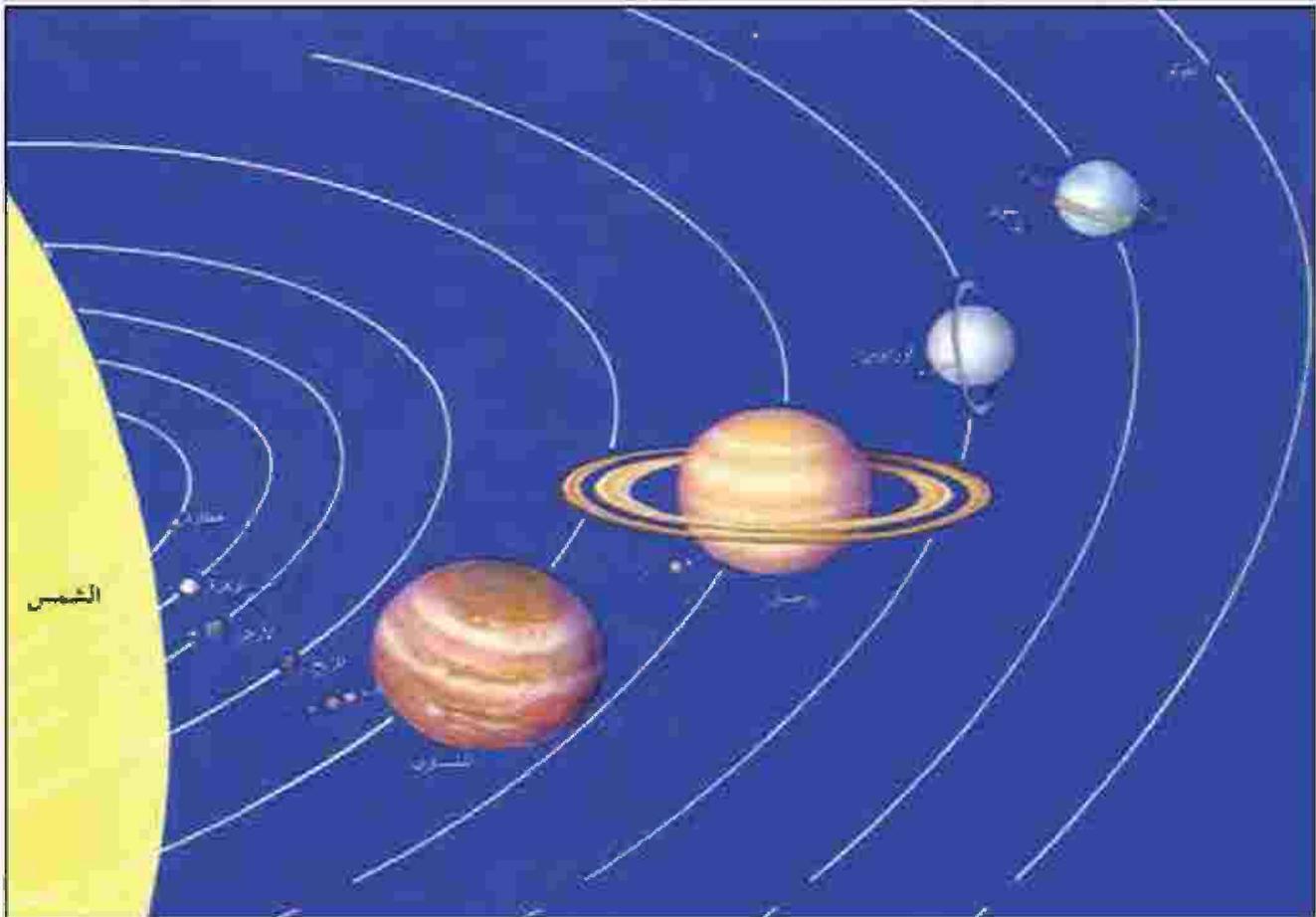
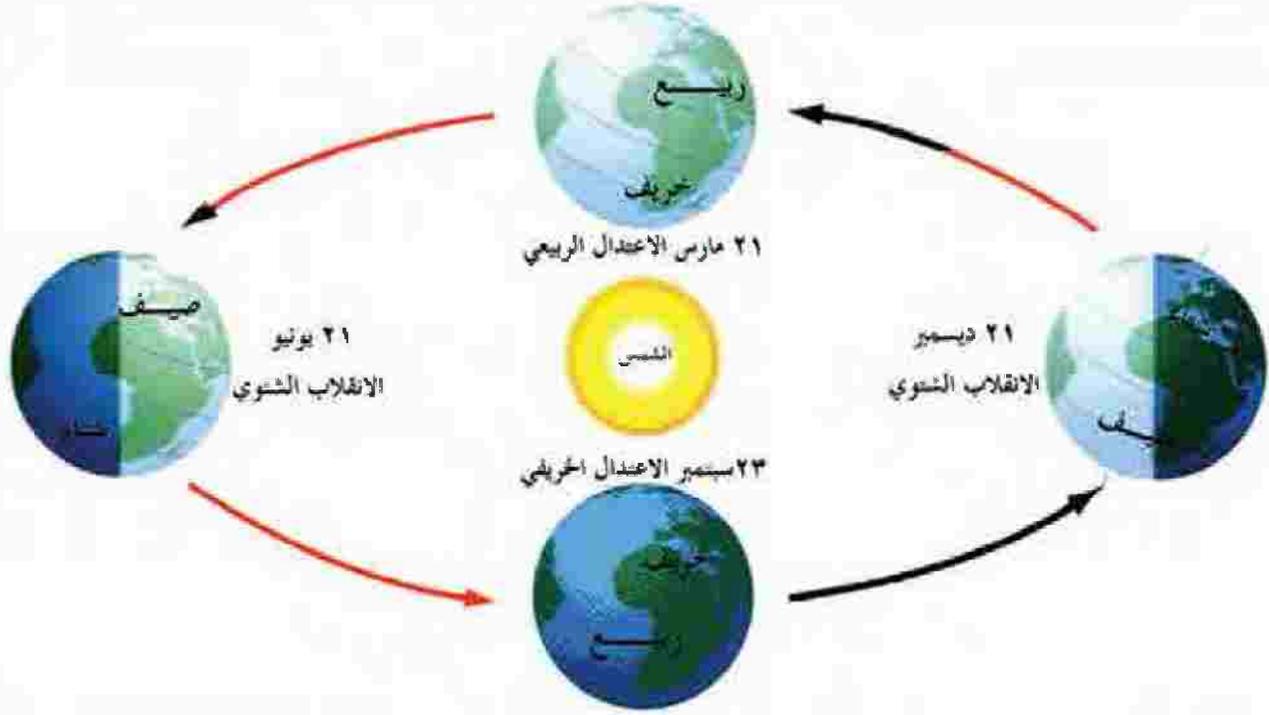
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾

ثانياً.. الماء.

يمثل الماء ٧١٪ من كوكب الأرض، ويشمل الماء المحيطات والبحار والأنهار والبحيرات، والمحيطات على النحو الآتي:

- ١- المحيط الهادي ١٦٦,٢ مليون كم^٢.
- ٢- المحيط الأطلنطي (الأطلسي) ٨٦,٥ مليون كم^٢.
- ٣- المحيط الهندي ٧٢,٥ مليون كم^٢.
- ٤- المحيط القطبي ١٤ مليون كم^٢.
- ٥- المحيط الجنوبي ٧ مليون كم^٢.





ويعد أن استوى - سبحانه وتعالى - على العرش سخر الشمس والقمر، كل يجري لأجل مسمى، ثم خلق الملائكة الأبرار، الذين يعيشون في الملأ الأعلى، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤسرون، حتى **خلق الجن** وأسكنهم الأرض، فأفسدوا فيها، وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً... بعد ذلك اقتضت حكمته خلق آدم، فقال تعالى:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
 قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
 نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
 ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ
 فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا
 سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
 ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ
 أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
 تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
 ﴿٣٤﴾ سُوْرَةُ الْبَقَرَةِ

ذكر الطبري في تفسيره عن ابن عباس: أن **الجن** حين أفسدت وسفكت الدماء، بُعثنا عليهم لذلك قال: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾، يقول: إني قد اطّعت من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه، من كبره واغتراره. قال: ثم أمر بتربية آدم فرُفعت، فخلق الله آدم من طين لازب - واللازب: اللزج

الصُّلْبِ، من حمأ مسنون - مُنْتِن. قال: وإنما كان حمأ مسنوناً بعد التراب. قال: فخلق منه آدم بيده، قال: فمكث أربعين ليلة جسداً ملقى. فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيُصلِّص - أي فيصوّت - قال: فهو قول الله: ﴿بَيْنَ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ الرحمن، ١١. يقول: كالشيء المنفوخ الذي ليس بمُصْمِت. قال: ثم يدخل في فيه ويخرج من دُبُرِهِ، ويدخل من دُبُرِهِ ويخرج من فيه، ثم يقول: لست شيئاً - للصلصلة - ولشيء ما خلقت! لئن سلطت عليك لأهلكك، ولئن سلطت علي لأعصيتك. قال: فلما نفخ الله فيه من روحه، أتت النفخة من قبل رأسه، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحمًا ودمًا. فلما انتهت النفخة إلى سُرْتِهِ، نظر إلى جسده، فأعجبه ما رأى من حسنه، فذهب لينهض فلم يقدر، فهو قول الله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ الإسراء، ١١. قال: ضَجِرًا لا صَبْرَ له على سَرَاءٍ ولا ضَرَاءٍ. قال: فلما تمت النفخة في جسده عطس، فقال: "الحمد لله رب العالمين" بإلهام من الله تعالى، فقال الله له: يرحمك الله يا آدم. قال: ثم قال الله للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات: اسجدوا لآدم. فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر، لما كان حدث به نفسه من كبره واغتراره. فقال: لا أسجد له، وأنا خير منه وأكبر سنًا وأقوى خلقًا، خلقتني من نار وخلقته من طين - يقول: إن النار أقوى من الطين. قال: فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله - أي آيسه من الخير كله، وجعله شيطانًا رجيمًا عقوبة لمعصيته. ثم علم آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان وداية وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار، وأشياء ذلك من الأمم وغيرها. ثم عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة - يعني الملائكة الذين كانوا مع إبليس، الذين خلقوا من نار السموم - وقال لهم: أنبئوني بأسماء هؤلاء - يقول: أخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، إن كنتم تعلمون أنني لم أجعل خليفة في الأرض. قال: فلما علمت الملائكة مؤاخذه الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب، الذي لا يعلمه غيره، الذي ليس لهم به علم، قالوا: سبحانك، تنزيهاً لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره - تبنا إليك، لا علم لنا إلا ما علمتنا، تبرياً منهم من علم الغيب، إلا ما علمتنا كما علمت آدم. فقال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم - يقول: أخبرهم بأسمائهم. فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم - أيها الملائكة خاصة - إني أعلم غيب السموات والأرض، ولا يعلمه غيري، وأعلم ما تبدون - يقول: ما تظهرون - وما كنتم تكتمون - يقول: أعلم السر كما أعلم العلانية، يعني ما كنتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار^(١).

وخلق الله - سبحانه - من آدم ﷺ حواء، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلت دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَا صَلَاحًا لَّنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٦﴾

سورة الأعراف

وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك السهل والحزن والخبيث والطيب» حسن صحيح.

لقد أسكن الله - سبحانه وتعالى - آدم وزوجه الجنة نعمان بما فيها من رغد العيش ومتعة السكن، لكن الشيطان بخيئه وكيد، وسوس لأدم وزوجه، وجعلهما يأكلان من الشجرة المحرمة، قال تعالى:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَازْلَمَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

سورة البقرة

هكذا استطاع الشيطان - لعنه الله - أن يفوي آدم وزوجه، حينما حرصهما على الأكل من الشجرة المحرمة، فعاقبهما الله - سبحانه وتعالى - **بالتهبوط إلى الأرض**؛ ولتبدأ قصة الإنسان عليها.

أين هبط آدم وحواء عليهما السلام .. ؟

يُعد هذا الموضوع غاية في الصعوبة، لعدم وجود الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي تؤكد على المكان الذي وجد فيه آدم وحواء عليهما السلام، بيد أن المحاولات الجريئة من المؤرخين المسلمين المتقدمين في هذا الصدد تدعو إلى الاستئناس برواياتهم التاريخية، التي أوضحوا من خلالها المكان الذي هبط فيه آدم وحواء، يعكس النظريات والفرضيات الغربية، التي تتكرر مثل هذه الحقائق جملة وتفصيلاً؛ لعدم استنادها -في نظرهم- إلى جوانب مادية محسوسة، لذلك تغطينا سحابة من التشاؤم، حينما نتعامل مع مثل هذه الأفكار المادية المحسوسة، التي لا تؤمن بالأمور الغيبية؟

ذكر الطبري في تاريخه^(١) عن الحارث قال: حدثنا ابن سعد قال: حدثنا هشام بن محمد عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: **أهبط آدم بالهند وحواء بجدة**، فجاء في طلبها حتى اجتمعا، فازدلفت إليه حواء فلذلك سميت المزدلفة، وتعارفا بعرفات فلذلك سميت عرفات، واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعاً. قال: **وأهبط آدم على جبل بالهند يقال له بوذ**.

وذكر عن أبي همام قوله: حدثني أبي قال: حدثنا زياد بن خيثمة عن أبي يحيى بائع القت قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: **وأما أهل التوراة فإنهم قالوا: أهبط آدم بالهند** على جبل يقال له واسم عند واد يقال له بهيل بين الدهنج والمندل: بلدين بأرض الهند. قالوا: وأهبطت حواء بجدة من أرض مكة.

وقال آخرون: بل أهبط آدم **بسر نديب** على جبل يدعى بوذ، وحواء بجدة من أرض مكة، وإبليس بميسان، والحيّة بأصبهان. وقد قيل: أهبطت الحيّة باليرية وإبليس بساحل **بحر الأبلّة**. وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إليّ بخبر يجيئ مجيء الحجة، ولا يعلم خبر في ذلك ورد كذلك غير ما ورد من خبر **هبوط آدم بأرض الهند**، فإن ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام وأهل التوراة والإنجيل، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء.

وذكر الطبري أن الجبل الذي أهبط عليه آدم ﷺ ذروته من أقرب ذرا جبال الأرض إلى السماء وأن آدم حين أهبط عليه كانت رجلاه عليه ورأسه في السماء، يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم، فكان آدم يأنس بذلك، وكانت الملائكة تهابه، فتقص من طول آدم لذلك^(٢).

وجاء في عرائس المجالس: (إن الله أوحى إلى آدم أن لي حرمًا بحيال عرشي، فأتته فطف به كما يطاق حول عرشي، وصلّ عنده كما يصلّي عند عرشي، فهناك أستجيب دعاءك.. فانطلق آدم من **أرض الهند** إلى **أرض مكة** لزيارة البيت، وقبض الله ملكًا يرشده...^(١) .

وعن عطاء قال: **أهبط آدم بالهند**، فقال: يا رب ما لي لا أسمع صوت الملائكة، كما كنت أسمعها في الجنة؟ قال: بخرابيتك يا آدم، فانطلق إلى **مكة**، فابن بها بيتًا تطوف به كما رأيتهم يطوفون فانطلق إلى مكة فبنى البيت، فكان موضع قدمي آدم قرى وأنهارًا وعمارة وما بين خطاه مفاوز، فحج آدم البيت من الهند أربعين سنة، وسأل عمر كعبًا، فقال: أخبرني عن هذا البيت فقال: إن هذا البيت أنزله الله - تعالى - من السماء يا قوتة مجوفة مع آدم ﷺ، فقال: يا آدم إن هذا بيتي فطف حوله، وصل حوله كما رأيت ملائكتي تطوف حول عرشي وتصلني. ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعد من حجارة، فوضع البيت على القواعد، فلما أغرق الله قوم نوح رفعه الله وبقيت قواعد. وعن علي رضي الله عنه قال: البيت المعمور بيت في السماء، يقال له الضراح، وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلّي فيه كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة، لا يعودون فيه أبدًا^(٢) .

وأخرج ابن سعد، وابن عساکر، عن ابن عباس قال: **أهبط آدم بالهند**، و**حواء بجدة**، فجاء في طلبها حتى أتى جمعًا، فازدلفت إليه حواء، فلذلك سميت المزدلفة، واجتمعوا بجمع. وأخرج الطبراني، وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أنزل آدم ﷺ بالهند**، فاستوحش، فتنزل جبريل، فتنادى بالأذان، فلما سمع ذكر محمد قال له: ومن محمد هذا؟ قال: هذا آخر ولدك من الأنبياء». وقد روي عن جماعة من الصحابة: أن **آدم أهبط إلى أرض الهند**، منهم جابر أخرجه ابن أبي الدنيا، وابن المنذر، وابن عساکر، ومنهم ابن عمر أخرجه الطبراني^(٣) .

ويؤكد المؤرخ أ. محمود شاكر على أن: آدم وجد على أغلب الظن في جنوب غربي آسيا وهي جزيرة العرب على أكبر احتمال على الرغم من أن هناك آراء تقول: إنه وجد في الهند، وأخرى تنادي بأنه كان في أول الأمر في شمالي العراق. **قلت**: وهذا الرأي، في نظري، لا يتعارض مع الروايات السابقة، إذ من المحتمل - والعلم عند الله - أن هبوط آدم في أرض الهند كما ذكرت ذلك الروايات السابقة، أما لقاءه مع حواء كان في جزيرة العرب، حينما أمره الله بالحج إلى بيته، والتي تذكر بعض الروايات التاريخية أن الملائكة هي أول من بنى البيت، فكان استقراره في جزيرة العرب، ثم **بدأ البشر بعد ذلك بالتكاثر في هذه الجزيرة من نسل آدم وحواء**، فهي بذلك أول مناطق الأرض استخلاقًا.

٢- الرازي، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن التيمي، مناقب النبي، النسخة الرقمية.

٣- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج ١، ص ٢٩، المكتب الإسلامي.

١- الشلبي، أحمد بن محمد، عرائس المجالس، ص ٢٤ - ٢٥.

١- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، النسخة الرقمية.



أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أهبط آدم إلى أرض يقال لها **دجنا**، بين مكة والطائف.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: أهبط آدم **بالصفا**، وحواء **بالمروة**. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس. أن أول ما أهبط الله آدم إلى **أرض الهند**. وفي لفظ بدجناء أرض الهند. جلال الدين السيوطي، الدر المنثور.

ذكر الشيخ محمد متولي الشعراوي -رحمه الله-: إن ما يستفاد من قصة آدم ﷺ أن البشرية تنقسم إلى قسمين: **بشر** يبلغهم الله تعالى منهجه فيطيعون ويمصون ويتوبون، و**أنبياء** يبلغون عن الله تعالى منهجه، وهؤلاء عصمهم الله تعالى من الخطأ.. إلى أن قال: ومهمة آدم الأساسية في الأرض، هي المقام في طاعة الله تعالى، والحكم بالعدل بين خلقه، والمدة التي قضاهما في الجنة كانت تدريباً على مهمته في الأرض، فلا يجوز أن نقول: إنه طرد من الجنة بسبب المعصية، لأن المعصية أعقبها توبة مقبولة ثم نبوة، أما الجنة فكانت مرحلة من مراحل الإعداد للخلافة في الأرض أ. هـ.



يؤكد علماء الجغرافيا أن أعلى ارتفاع عن سطح البحر، هي قمة جبل إيفرست من سلسلة جبال الهمالايا ببلاد الهند، حيث يبلغ ارتفاعها ٨٨٤٨ م، وهو الجبل الذي أميط الله - سبحانه وتعالى - عليه آدم عليه السلام، كما نعت بذلك، روايات المؤرخين المسلمين، التي سقناها في الصفحات السابقة.

قال القرطبي: روي أن أول من بنى البيت آدم ﷺ كما تقدم (أي في تفسير القرطبي).

فيجوز أن يكون غيره من ولده وضع بيت المقدس من بعده بأربعين عاماً، ويجوز أن تكون الملائكة أيضاً بنته بعد بنائها البيت بإذن الله، وكل محتمل، والله أعلم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم، ثم إن آدم بنى منه ما بنى وطاف به، ثم الأنبياء بعده، ثم استتم بناءه إبراهيم ﷺ.

من هنا يتضح لنا نحن المسلمين أن تاريخ البيت الحرام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الأنبياء والرسل، بداية بنبى الله آدم ﷺ وختاماً بسيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.



قال تعالى،

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾

سورة البقرة



ذرية آدم الأولى

بعد أن أهبط الله - سبحانه وتعالى - **آدم وزوجه من الجنة إلى الأرض**، بدأت قصة الإنسان وتاريخه عليها، فتكون من نسلهما أول أمة بشرية فطرت على التوحيد الخالص، بيد أن الشيطان الذي توعد آدم وذريته في الأرض للتفريق بينهم - إلا عباد الله المخلصين - نجح في إحداث **أول جريمة بشعة على الأرض**، حينما قتل قابيل أخاه هايل، قال تعالى:

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۗ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُو أَبَائِي وَيَأْتِيكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٨٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيْلَتَى أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٨١﴾

سورة القصص

وعلى الرغم من بشاعة هذه الجريمة، فقد كان المجتمع خلالها متماسكاً فيما بينه، قوياً مؤمناً بالله

-سبحانه- وكان البشر خلالها في تزايد مطرد في داخل جزيرة العرب - **موطن آدم وذريته** - ومع هذا التنامي البشري المتزايد؛ إضافة إلى حب ارتياد المجهول، ناهيك عن طبيعة البحث عن مصادر أخرى للمعيشة بشكل أفضل مما هو متاح، **خرجت جماعات من جزيرة العرب** إلى الأماكن القريبة من مناطق أودية الأنهار، في كل من العراق والشام ومصر، وأنشأوا فيها أولى الحضارات في العالم في الألف الخامس قبل الميلاد.

لقد أودع الله -سبحانه وتعالى- في الإنسان نعمة العقل، التي جعلته يستغل الأرض وخيراتها، فراح ينشئ المدنيات العظيمة، التي تواكبت وروح التطور المتصاعد، فأخذ الشيطان يتربص ببني البشر ليصدهم عن سبيل الله، فكانت نبوة **شيث وإدريس** عليهما السلام في هذه المجتمعات الجديدة. قال السمان^(١): (إن نبوة شيث وإدريس أشبه بمهمة وعظيمة إقليمية، ينشر خلالها النبي ألواناً من الحكمة والفلسفة والموعظة الحسنة، دون أن يكون لهما أثر يذكر في المجتمع الذي عاشا فيه، وليس أدل على ذلك من أن القرآن الكريم لم يهتم بشيث مطلقاً كما لم يهتم بإدريس، إلا في موضعين اثنين، وفي معرض الثناء الإجمالي على أشخاص الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام).

وعندما زاد انحراف الناس عن جادة الطريق، وارتأى كثير منهم عبادة الأصنام من دون الله تعالى، تفتش الشرك بينهم، ودخل الكبرياء نفوسهم، فبذرت بذور الكبرياء وحب الذات، هتمت البذور شوكة، وتعكبت على الشوك مفاصد لا حصر لها، كالتفاح والخداع والتميمة والحسد، فبعث الله إليهم أول رسله إلى أهل الأرض من أولي العزم وهو سيدنا نوح عليه السلام قال تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾ سُورَةُ النَّازِعَاتِ

مكاننا اينجا آدم (هابيل و هابيل)

وحدثت أحداث قصة قابيل وهابيل النبي
ذكرت في سورة المائدة في منطقة مكة
المكرمة شرفها الله تعالى، لأنها المنطقة التي
سكنها آدم وحواء عليهما السلام بعد
هبوطهما إلى الأرض كما أوضحنا ذلك في
الصفحة السابقة.



يوجد مقام (ضريح) بالقرب من دمشق، ينسب إلى
هابيل بن آدم عليهما السلام، مكتوب عليه هذا مقام
سيدنا هابيل عليه السلام، وبالطبع لا نستطيع الجزم بأن
هذا مرقد هابيل الذي دفن فيه فاته أخوه (قابيل)
بعد أن تعلم كيف يوازي سواء أخيه من القراب، وهو
أول قبر في الأرض لأول قتل سلك دمه.

أرض العراق

أور

أرض الصين

جزيرة

وَأَقْبَلْ عَلَيْهِمْ نَارًا مِّنْ سَمَاءٍ آخَرَةٍ إِذْ هِيَ كَالْحَرِّ الْقَوِيمِ
فَقَتِلَ مِنْ أَهْلِهَا وَلَمَّا بَقِيَ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا بَدَأَخَذَهُ
بِنُوحٍ مَا آتَا بِطَارِدِي إِلَيْكَ لِأَنَّكَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ مَسُوا قَوْمِي وَأَكُونَ مِّنْكُمْ
مِّنْ أَهْلِهَا فَأَخَذَ اللَّهُ جَزَاءَ الظَّالِمِينَ ۝ فَظَلَمْتُمْ
لِلرِّسَالَةِ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلْتُمْ فَأَصْبَحَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ۝
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَحْتَثُّ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهِمْ كَيْفَ يَبْزُرِي
سَوَاءَ أَجْرِي قَالَ يَتَّبِعُنِي أَصْحَابِي فَأَنْجُوهُمْ إِنِّي لَمِنَ الْغَالِبِينَ
الْعَرَبُ فَأُورِي سَوَاءَ آخِي فَأَصْبَحَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝

مكة المكرمة • الحجاز

أرض



العرب



التحفة الهندية

من خصائص جزيرة العرب

الأولى: هذه الجزيرة حرم الإسلام؛ فهي معلمه الأول، وداره الأولى، قصبة الديار الإسلامية، وعاصمتها، وقاعدة لها على مر العصور، وكر الدهور، منها تفيض أنوار النبوة الماحية لظلمات الجاهلية؛ ولذلك جاءت المنح المحمدية في صحيح السنة بما لهذه الجزيرة من خصائص وأحكام؛ لتبقى هذه المنطقة قاعدة الإسلام دائماً؛ كما كانت قاعدته أولاً، ومعقل الإيمان آخرًا؛ كما كانت سابقًا... أما **جزيرة العرب:** فلها من سامي المكانة التي تتميز بها في (خريطة العالم)، ودقيق الضمانة الواجب توفيرها،... فأعرف هذه الخصيصة لجزيرة العرب من أنها (حرم الإسلام)، وللحرم حرمانه التي لا تنتهك، ولن تكون دار كفر أبدًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم^(١).

الثانية: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الشيطان يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم" رواه مسلم في "صحيحه" والخلاصة: أن متن الحديث ثابت من عدة طرق عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم. ومعنى هذا الحديث: أن الشيطان يئس من اجتماع أهل الجزيرة على الإشراف بالله تعالى. ومنتد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وهي إلى يومنا هذا دار إسلام - ولله الحمد، حماها الله وسائر أوطان المسلمين -، ولم يعرف الشرك فيها إلا جزئيًا على أحقاب في فرد، أو أفراد، ثم يهين الله على مدى الأزمان من يردهم إلى دينهم الحق... وبهذا يكون ذكر جزيرة العرب؛ لمزيتها بأنها أصل ديار الإسلام، وأهلها أصل المسلمين ومادتهم. والله أعلم^(٢).

الثالثة: جزيرة العرب وقف في الإسلام على أهل الإسلام، على من قال: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، وقام بحقهما، وهي وديعة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمته، التي استحفظهم عليها في آخر ما عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهي دار طيبة، لا يقطنها إلا طيب، ولما كان المشرك خبيثًا بشركه؛ حُرِّمَت عليه جزيرة العرب^(٣).

الرابعة: أن الإسلام حين يُضطهد في دياره خارجها؛ فإنه يتحاز إلى هذه الجزيرة، ويأوي إليها، فيجد كرم الوفادة بعد القرية، وطول المحنة. وفي ذلك جاء حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يارزُ بين المسجدين كما تارز الحية إلى جحرها"^(٤).

١- د. بكر بن عبد الله أبو زيد، خصائص جزيرة العرب، ص ٢١.

٢- د. بكر بن عبد الله أبو زيد، المرجع السابق، ص ٢٤.

٣- د. بكر بن عبد الله أبو زيد، المرجع نفسه، ص ٢٢ - ٢٣.

٤- د. بكر بن عبد الله أبو زيد، المرجع نفسه، ص ٢٠.

الخامسة: إن في جزيرة العرب تقع مكة المكرمة التي حرمها الله - تعالى - منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، قال ﷺ: "إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة لا يُعصَد شوكة، ولا يفر صيده، ولا يلتقط إلا من عرفها، ولا يحتلى خلاها". متفق عليه. - ويقول ﷺ: "لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى". متفق عليه. - فلا يجوز السفر إلى أي بقعة من بقاع الأرض بقصد العبادة، إلا لهذه الأماكن الثلاثة، التي منها المسجد الحرام بمكة المكرمة، قال ﷺ: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام" متفق عليه. - وسبب هذا التحريم لوجود بيت الله الحرام الذي وضع للناس لعبادة الله فيه من صلاة ودعاء ونسك... إلخ. ومما يؤكد على قدم الجزيرة العربية **كعهد للإنسانية** فيما نقل عن مخطوط للمأموني.. جاء فيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "إن الله تعالى لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض بعد خطيئته، أصبح لا يسمع صوت الملائكة في السماء، فتوسل إلى الله سبحانه وتعالى، فقال - عز وجل - اذهب فإني بيأ فظف به واذكرني في حوله كما رأيت الملائكة تصنع. فأقبل آدم عليه السلام يتخطى الأرض حتى انتهى إلى مكة عند موضع البيت الحرام ياقوتة حراء بجوفة لها أربعة أركان بيض ونها ثلاثة قناديل من الذهب، فيها لمب يلتهب من نور الحيمة، وقد حرس الله آدم وتلك الحيمة بالملائكة من سكان الأرض، ويومئذ كان سكان الأرض من الجن والشياطين، وكانت الأرض طامرة شية لم تنجس، ولم تفلح بالخطايا، ولم يُسفك فيها الدم، لذلك جعلها سكناً للملائكة وجعلهم فيها مثلما كانوا في السماء، يسبحون الله تعالى بالليل والنهار لا يفتنون... وكان موضع الملائكة عند أعلام الحرم واقفين صفًا واحدًا مستديرين حول الحرم المكّي الشريف، يحرسون سيدنا آدم من الجن والشياطين". أما بناء إبراهيم الخليل مع ابنه إسماعيل عليهما السلام للكعبة المشرفة، فقد هديا إليها لأن هواعد البيت الحرام كانت مبنية قبيلهما، قال تعالى: ﴿وَإِذ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ . وقال تعالى: ﴿وَإِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . سورة البقرة - الآية ١٢٧.

السادسة: إن الأنبياء هبل سيدنا إبراهيم عليه السلام كانوا يحجون هذا البيت العتيق، جاء في البداية والنهاية^(١) نقلًا عن الإمام أحمد - رحمه الله - أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان حين حج قال: يا أبا بكر أي واد هذا؟ قال: **وادي عسفان**، قال: لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات: حطما الليف، أزرع العباء، وأردبهم النمار، يلون يحجون البيت العتيق".

السابعة: إن الجزيرة العربية تقع في مركز متوسط من العالم القديم، بل إن مكة شرفها الله هي مركز الأرض، ذكر د. شوقي أبو خليل^(١): "إن الإنسان المؤمن حينما يقرأ في الآية السابعة من سورة الحج ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ يدهش عند كلمة عميق، لأن الأرض لو كانت مستوية مسطحة لكان لفظ بعيد هو أقربها، لأن بعيد تفيد المسافة بين شيئين على مستوى واحد ولكن الأرض كروية... فالقادمون إلى مكة يأتون من بقاع عميقة بالنسبة لها، وذلك حسب انحناء الأرض الكروي، لذلك جاءت الآية ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ وأثبت البحث العلمي الحديث أن الكعبة المشرفة هي مركز الأرض للأسباب الآتية:

أ- أن المحيط الهادي يشكل انقطاعاً كبيراً جداً بين القارات بمساحته الكبيرة لذلك ترسم مصورات العالم بدءاً من أستراليا واليابان والصين شرقاً وانتهاءً بأمريكا غرباً، ولذلك رسمت أيضاً في المحيط الهادي نهاية خطوط الطول، فلو مسحنا هذه القارات بما فيها القارة القطبية الجنوبية، وكتبنا عليها مساحاتها، ورحنا نفتش عن مركز يتوسطها أو عن مركز ثقلها بدقة تامة، لوجدناها في الكعبة المشرفة بالذات، وهذا يذكرنا بالأثر الذي يقول: إن الكعبة سُورة الأرض.

ب- أن هناك يوماً في السنة لا يكون للأشياء فيه ظل في مكة عند الزوال، لأن الشمس تكون عمودية تماماً عليها، مما يدل أنها مركز الأرض، ووسط الدنيا، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا تُنذِرُ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنزِّلُ فِيهِ الْقُرْآنَ فِي الْبُرُوقِ ۗ﴾

الثامنة: في هذه الجزيرة ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبعث فيها، فكانت رسالته خاتمة الرسالات السماوية جمعاء، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِي نَكَبَ وَهُوَ كَرِيمٌ﴾ . النور: ٢٢، وبذلك حظيت هذه الجزيرة العربية بهذه الرسالة المقدسة، وهذا الرسول الكريم الذي جعله الله - سبحانه وتعالى - خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم^(٢).

إن هذه المزايا الفريدة والخصائص المقدسة لتسترعى الانتباه، وتشد العقول، وتمتلك الأرواح على أن الجزيرة العربية هي **مهد الإنسانية جمعاء**، خرجت منها موجات بشرية على أحقاب تاريخية مختلفة تجاه المناطق الشمالية من الجزيرة، كوادي الرافدين وبلاد الشام وفلسطين وأرض النيل، ثم أخذ البشر بعدها في الانتشار بالبقاع القريبة من تلك المناطق القريبة منها.

٢- سامي المفليح، أطلس التاريخي لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ٢٤.

١- د. شوقي أبو خليل، الإنسان بين العلم والدين، ص ٢٤.



هذه الخريطة يعود تاريخها إلى سنة ١١٥٢ من الهجرة المباركة الموافق لعام ١٧٢٤ من الميلاد. ويظهر عليها جزيرتان من جزر البحرين ويبدو واضحاً ضحالة المياه المواجهة للساحل الشرقي للجزيرة العربية والمسماة آنذاك باسم البحرين كما هو مكتوب على الخريطة أيضاً، ويظهر في جانب الخريطة مصور للحرم المكي الشريف.

